زوجة رجل الثلج

وقصص أخرى...

هاروكي موراكامي

ترجمة: آية عبد الرحمن



للنشر والتوزيع

زوجة رجل الثلج.. وقصص أخرى

زوجة رجل الثلج وقصص أخرى

ترجمات

هاروكي موراكامي

ت: آية عبد الرحمن

تصميم الغلاف: آية عبد الرحمن

إخراج داخلي وتصميم : مادنس للتجهيز الفني

الطبعة الأولى2021م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

المدير التنفيذي :شادي أبو شهبة

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

هاروكي موراكامي

زوجة رجل الثلج

وقصص أخرى

ت: آية عبد الرحمن

ترجمات



- مسافر يومي عمره اثني وثلاثين عامًا

- مدينتها وخروفها

- سائق التاكسي مصاص الدماء

- مهرجان أسد البحر

- زوجة رجل الثلج

مسافر يومي عمره اثني وثلاثين عاماً

عمري اثني وثلاثين عامًا، وعمرها ثمانية عشر.

التفكير في الأمر يصيبني بالاشمئزاز!

أنا في الثانية والثلاثين، وهي بعد في الثامنة عشر.. هذا يبدو جيدًا.

نحن صديقان، لا أكثر ولا أقل. أنا متزوج، وهي تواعد ستة رجال، توزعهم على أيام الأسبوع، وتواعدني أنا في أحد أيام الآحاد من كل شهرٍ، وفي الآحاد الثلاثة الباقية تقضي يومها في بيتها تشاهد التلفزيون.. عندما تشاهد التلفزيون تبدو فاتنة مثل الفقمة.

ولدتْ عام ١٩٦٣، العام الذي أُردي فيه الرئيس كينيدي قتيلًا بالرصاص، وكانت أيضًا السنة التي واعدت فيها فتاةً لأول مرة. كانت أغنية كليف ريتشارد (إجازة الصيف) شعبية وقتها، أليس كذلك؟

هذا حقًّا لا يهم. لقد ولدت في هذا العام وكفى.

لم أتوقع أن أخرج في موعدٍ مع فتاةٍ ولدت في تلك السنة، وحتى الآن ما زال الأمر مثيرًا للعجب! وكأنني على الجانب الآخر من

القمر أدخن سيجارة بينما أتكئ على صخرة. يقول الرجال الذين أعرفهم، بالإجماع، إن الفتيات الشابات مملات، فكل ما يتحدثن عنه من كوكبٍ آخر، واستجابتهم لما يقلن مبتذلة، ورغم ذلك فغالبًا ما يخرجون مع شابات يافعات، فهل وجدوهن غير مملات؟ الحقيقة أن كونهن مملات جذاب لهم، وهم يستمتعون من أعماق قلوبهم بلعبة معقدة ينسكب فيها دلو من الملل على رؤوسهم، بينما لا ينثرون نقطة من هذا الملل على الفتيات. هذا ما يبدو لي على الأقل.

الحقيقة أيضًا أن تسع من كل عشر شابات مملات، لكنهن لا يدركن هذا. إنهن يافعات، جميلات، مفعمات بالفضول، ويعتقدن أنهن أبعد ما يكنّ عن الملل! يا إلهي! أنا لا ألوم الشابات اليافعات ولا أكرههن، على العكس، أنا أحبهن، فهن يذكرنني بأيامي المملة الخوالي، وهذا -كيف يمكنني قولها؟- رائع! لقد كنا مبتذلين بطريقة جميلة في شبابنا.

سألتني: "أخبرني، هل سبق وتمنيت لو كنت في الثامنة عشر مجددًا؟"

أجبتها: "لا، وليس هناك مبلغ من المال يمكنه إقناعي بأن أعود إلى الثامنة عشر مجددًا".

لم يبد أنها فهمت ما قلت، فسألتني: "لا؟ حقًّا؟"

-"بالتأكيد لا".

-"لماذا؟"

-"أحب ما أنا عليه الآن".

قلَّبت قهوتها سارحةً، وهي تسند ذقنها إلى يدها. قالت: "لا أصدق ما تقول".

-"من الأفضل أن تصدقي".

-"إنه شيء جميل أن تكون يافعًا، أليس كذلك؟"

-"أعتقد هذا".

-"إذن، لماذا تفضل ما أنت عليه الآن؟"

-"شبابٌ واحدٌ يكفي".

-"أنا لم أشبع من كوني صغيرة السن بعد".

-"أنتِ مازلتِ في الثامنة عشر على أي حال".

-"نعم".

قالتها بينما أفكر أنها في الثامنة عشر بالفعل.

ناديت النادلة، وطلبت علبة بيرة أخرى.. كانت تمطر بالخارج، وبإمكاني رؤية ميناء يوكوهاما عبر النافذة.

سألتني: "أخبرني، فيم كنت تفكر حين كنت في الثامنة عشر؟"

-"في مضاجعة الفتيات".

-"هل من أفكارٍ أخرى؟"

-"لا".

قهقهتْ، وأخذتْ رشفةً من قهوتها.

-"وهل نمت مع الفتيات؟"

-"أحيانًا نعم، وأحيانًا لا، لكن أخشى أنني أخفقت في أغلب المرَّات".

-"كم عدد الفتيات اللواتي نمت معهن؟"

-"لم أحصهن".

-"حقًّا؟"

-"لا أريد أن أحصيهن".

-"لو كنت رجلاً لأحصيتهن.. لا بد أن هذا ممتع".

كنت أفكر أحيانًا أنه أمر ممتع أن أعود إلى الثامنة عشر من عمري، لكن حين أتساءل ما أول شيء سأفعله وقتها، لا يخطر شيءٌ ببالي. لا يمكنني التفكير بشيء أود فعله لو أصبحت في الثامنة عشر مجددًا.

ترى، أيكون أمرًا ممتعًا لو كنت في الثامنة عشر وواعدة امرأة جذابة في الثالثة والعشرين؟

سألتها: "هل فكرتِ أنتِ من قبل في أن تعيشي عمر الثامنة عشر مجددًا؟"

ابتسمت، وتظاهرت بالتفكير، ثم قالت: "على الأرجح لا".

-"حقًّا؟"

-"لا".

قلت: "لا أفهمك! الكل يقول كم هو جميل أن يكون صغير السن".

-"نعم، هذا صحيح".

-"إذن، لماذا لا تريدين أن تكوني صغيرة السن مجددًا؟"

-"سوف ترى حين تصبح أكبر سنًّا".

ولكنني في الثانية والثلاثين من عمري، ولدي طبقات من الدهون تتراكم حول بطني إذا لم أمارس الركض لأسبوع.. لا يمكنني العودة إلى الثامنة عشر من عمري، هذا أكيد.

عندما أنتهي من الركض صباحًا، أحتسي علبةً من عصير الخضروات، وأستلقي على الأريكة وأدير أسطوانة "المسافر اليومي" للبيتلز.

"المساااااافر.. اليومي"

عندما أستمع إلى تلك الأغنية أشعر أنني أجلس في مقعد قطار.. أعمدة كهربائية، ومحطات، و أنفاق، وجسور، و أبقار، وخيول، ومداخن، وأطنان من الخردة، كلها تمر بي. مهما طال السفر أو تغيَّرت الوجهة، المشاهد بالخارج متشابهة ولا تجذبني بعد الآن، ومع ذلك اعتدت الاستمتاع بها. أحيانًا يتغير الشخص الجالس جواري، وقد حدث وجلست جوار فتاة في الثامنة عشر من عمرها.. كنت جوار النافذة، بينما هي تحتل مقعد الممر.

سألتها: "أتودين تبديل المقاعد؟"

فأجابت: "شكرًا لك.. أنت شخص لطيف".

لكنني لست لطيفًا، فكرت في هذا و أنا أبتسم بسخرية.. كل ما في الأمر أنني اعتدت الملل أكثر منكِ.

أنا مسافرٌ يومي، عمره اثني وثلاثين عامًا، أرهقه عدُّ الأعمدة الكهربائية.

(تمَّت)

مدينتها، وخروفها

جاء تساقط الثلوج الأول لهذا العام في مدينة سابورو بشمال اليابان، بدأ بهطول أمطار سرعان ما استحالت ثلوجًا، ولم تستغرق وقتًا طويلًا حتى عادت أمطارًا. مع ذلك فإن شوارع سابورو في المطر ليست رومانسية إلى هذا الحد.. يُرحب بها كقريبٍ غير محبوب. كان هذا يوم الجمعة 23 أكتوبر.

عندما غادرت طوكيو على متن الطائرة 747 من مطار ناريتا، كنت أرتدي تيشيرتًا فقط، وبدأت الثلوج في التساقط قبل أن أنتهي من الاستماع إلى شريط الكاسيت الممتد لتسعين دقيقة على جهاز الووكمان.

قال لي صديقي: "تمامًا كما هو متوقع! عادة ما يهطل الثلج عندنا لأول مرة في مثل هذا التوقيت، بعدها يبدأ الجو في البرودة".

-"الجو يزداد برودة بعنف، أليس كذلك؟"

-"هل تمازحني! إنه شديد البرودة، حقًّا!"

كنا قد نشأنا في حي صغير هادئ في كوبيه بغرب اليابان، يفصل بين منزلينا نحو خمسون مترًا، وقصدنا نفس المدرسة الثانوية معًا، كما ذهبنا إلى الرحلات المدرسية والمواعدات المزدوجة معًا، وذات مرة كنا سكرانين للغاية حتى أننا تدحرجنا خارج التاكسي فور فتح بابه. بعد المدرسة الثانوية قصد كل منا كلية مختلفة، فاتجهت أنا إلى طوكيو، بينما ارتحل هو شمالًا إلى هوكّايدو، وتزوجت أنا من إحدى زميلات دراستي في طوكيو، بينما تزوج هو زميلته التي تنتمي إلى مدينة أوتارو في هوكّايدو. هكذا مضت الحياة.. تبعثرنا مثل بذور في قلب الرياح.

ربما لو التحق هو بكلية في طوكيو أو اتجهت أنا إلى هوكايدو للدراسة، لكانت حياتنا تغيرت بالكامل.. ربما كنت سأعمل لصالح وكالة رحلات، متسكعًا حول العالم، وربما كان باستطاعته أن يغدو كاتبًا في طوكيو، لكن القدر قادني لأصبح كاتب روايات بينما تحول مساره الوظيفي إلى العمل بشركة رحلات، وها هي الشمس تشرق كل يوم.

لدى صديقي طفل يبلغ من العمر ستة أعوام، اسمه هوكوتو، ودائمًا ما يحمل ثلاث صور لابنه في محفظته: صورة لهوكوتو وهو يلعب مع خروف في حديقة الحيوان، وأخرى له وهو يرتدي فستانًا في مهرجان شيتشيغوسان الخريفي للأطفال، ثم صورة لهوكوتو وهو يستقل صاروخًا في ساحة الألعاب. نظرت إلى كل صورة ثلاث مرات، واحدة بعد الأخرى، ثم أعدتها إليه، وأخذت علبة البيرة، والتقطت قليلًا من "الروبيه"، شرائح السمك نصف المجمدة الشعبية في هوكّايدو.

سألني: "بالمناسبة، كيف حال P؟"

أجبته: "بخير حال، صادفته في الشارع ذات يوم.. إنه مطلق الآن ويعيش مع امرأة شابة".

-"وماذا عن Q؟"

-"يعمل لصالح وكالة إعلانات، ويكتب بعض المُذكرات الدعائية الفظيعة".

-"هذا لا يفاجئني".

إلخ إلخ.. ثم دفعنا حساب المطعم وخرجنا، عندها بدأت تمطر مجددًا.

سألته: "أخبرني، هل عدت إلى كوبيه مؤخرًا؟"

هز رأسه: "لا، إنها بعيدة للغاية عني الآن. ماذا عنك؟"

-"لا، في الحقيقة ليست لدي رغبة في العودة".

-"نعم.. بالتأكيد".

-"أتخيل أن الحي تغير كثيرًا بعد كل هذه الأعوام".

وتمشينا في شوارع سابورو لعشر دقائق إضافية، وسرعان ما انتهت الأشياء التي يمكننا التحدث عنها.. عدت إلى الفندق، بينما اتجه هو إلى شقته الصغيرة.

-"لا تتصرف كالغريب، و انتبه لنفسك جيدًا".

-"و أنت أيضًا".

فجأة جعلني هدير المحركات أدرك أننا بالغد سنعود لنفترق على مسافة خمسمئة كيلومتر، وخلال أيام قليلة سيسير كل منا في شوارع مختلفة، نستأنف أعمالنا الروتينية المملة، ونواصل نضالنا الشاق بلا هدف كأننا في سباقٍ للفئران.

عندما عدت إلى غرفتي بالفندق، فتحت التلفزيون وبدأت مشاهدة برنامج محلي عن الخدمات العامة، وتسلقت فراشي دون أن أنزع الحذاء، بينما ألتهم شطيرة السلمون المدخن مع البيرة التي حصلت عليها من خدمة الغرف، محدقًا إلى الشاشة بعقلٍ غائب.

كانت امرأة شابة ترتدي فستانًا أزرق داكنًا تقف وحيدة في منتصف الشاشة، والكاميرا تركز عليها مثل حيوان مفترسٍ صبور، مثبتة على صورتها، لا تغير زاويتها، ولا تتقدم نحوها، حتى شعرت أني أشاهد أحد أفلام المخرج غودارد.

قالت المرأة: "أعمل في قسم الدعاية بالحكومة المحلية لمدينة R".

كانت لها لكنة محلية خفيفة، وصوتها مضطرب قليلًا وكأنها متوترة إلى حدٍ ما.

-"إن مدينة R صغيرة للغاية، تعداد سكانها لا يتجاوز سبعة آلاف وخمسمئة شخص، ولم يأت أحد المشاهير إلى مدينتنا الصغيرة يومًا، لهذا لا أظن أن أيًّا منكم قد سمع عنها من قبل".

أعتقد أن هذا سيئ!

-"... صناعاتنا الأساسية هي الزراعة وتربية الماشية للحصول على منتجات الألبان. كان الأرز أول المحاصيل التي ننتجها، ولكن مؤخرًا أجبرتنا سياسات الدعم الحكومية على التحول لإنتاج الشعير والقمح والخضروات، لتوزيعها في الضواحي. كما تنتشر المراعي على مشارف المدينة وبها نحو مئة رأس من الماشية، ومئة من الأحصنة، وكذلك مئة من الخراف. في الوقت الحالي ترتفع نسب تربية الماشية، ونتوقع زيادة أخرى في إنتاجنا الحيواني خلال السنوات الثلاث القادمة".

لم أكن لأصف تلك المرأة بالجمال، كانت في العشرين من عمرها تقريبًا، ترتدي نظارة ذات إطارٍ معدني، وقد ابتسمت مثل ثلاجة مكسورة، ومع هذا رأيتها رائعة! كان تكنيك التصوير الغوداردي هذا يبرز أفضل سماتها، وقد استمر في تأكيد تلك السمة، وعرضها في أفضل إضاءة ممكنة. إذا تسنى لأحدنا قضاء عشر دقائق أمام تلك الكاميرا لظهرنا غاية في الروعة، أو هذا هو رأيي!

"... في منتصف القرن التاسع عشر اكتُشف تراب الذهب في نهر R القريب من مدينتنا الصغيرة، لهذا استمتعنا بفترة ازدهار محدودة، حتى نفد غبار الذهب من النهر، مخلفًا ورائه ندوبًا من أكواخ لا حصر لها وطرق تؤدي إلى الجبل. إنه أمر محزن حقًا".

قذفت بآخر قضمة من شطيرة السلمون المدخن إلى فمي، ثم غسلت آخر آثارها بالجرعة الختامية من البيرة.

"في مدينتنا.. ممم.. بلغ تعداد السكان نحو عشرة آلاف نسمة قبل سنوات قليلة، ومع ذلك فإن عدد العائلات التي تخلت عن

نشاطها الزراعي قد ازداد مؤخرًا. هناك مشكلة أخرى هي أن الشباب بدؤوا في الهروب إلى الضواحي، وأكثر من نصف زملائي في الدراسة قد هاجروا بالفعل، لكن من قرروا البقاء يبذلون قصارى جهدهم لأجل مدينتنا".

واصلت حملقتها في الكاميرا كأنها مرآة بإمكانها كشف المستقبل، فبدت وكأنها تحدق إليَّ مباشرةً. سحبتُ علبة بيرة أخرى من الثلاجة، وفتحتها لأجرع جرعة كبيرة.

مدينة المرأة!

لم أجد صعوبة في تخيل مدينتها الصغيرة.. محطة قطار صغيرة يتوقف بها القطار ثمان مراتٍ يوميًا، ومدفأة صغيرة في غرفة الانتظار، ومساحة دائرية محدودة ومعقمة حيث تحمل الحافلات ركابها، وخريطة إرشادية للمدينة نصف حروفها لا يكاد يُقرأ، وسرير من القطيفة، وصفوف من أشجار الدردار، وكلب أجرب أبيض اللون تعب من الحياة، وإعلانات عن الأزياء المدرسية وأدوية الصداع، وشارع رئيسي كبير نسبيًا وإن كان عديم الجدوى، وملصق إعلانات مخصص لقوات الدفاع اليابانية، ومتجر من ثلاث طوابق يبيع أشياء متنوعة، ووكالة سفريات صغيرة، وتعاونية للمزارعين، ومركز لشؤون الغابات، ومبنى للإنتاج الحيواني، وحمام عام يتصاعد من مدخنته عمود رمادي إلى عنان السماء.

لو اتجهت يسارًا قبل التقاطع الرئيسي بمبنيين، ستجد مبنى البلدية، حيث تجلس هي على مكتبها في قسم العلاقات العامة.

نعم، بالتأكيد.. مدينة صغيرة مملة، تغطيها الثلوج لنصف العام، بينما تجلس هي إلى مكتبها وتكتب مذكرة:

"قريبًا سنقوم بتوزيع الأدوية الخاصة بتعقيم الخِراف. إذا كنت مهتمًا، فمن فضلك املأ الاستمارات المطلوبة، وسنتصل بك في أقرب فرصة ممكنة".

في غرفتي بذلك الفندق في سابورو، وجدت نفسي فجأة أختبر تواصلًا ملموسًا بحياة تلك المرأة.. أتممت اتصالًا مع وجودها نفسه، ومع ذلك ظل شيءٌ ما مفقودًا! شعرت وكأنني أرتدي حُلَّةً مستعارة لا تناسبني تمامًا، ولا تشعرني بالراحة، وقدماي كأنهما مربوطتان بحبلٍ. فكرت في قطع الحبل ببلطة صغيرة باردة، ولكن إذا فعلت ذلك فكيف يمكنني التراجع؟ سيجعلني هذا غير مستقر، ومع ذلك يجب أن أقطع الحبل.

ربما شربت كثيرًا من البيرة، وربما يسبب تساقط الثلوج مثل هذه المشاعر.. هذا كل ما استطعت التفكير فيه، ثم انزلقت عائدًا تحت الأجنحة المظلمة للو اقع، في مدينتي، مع خِر افها.

الآن تستعد هي لتعقيم خروفها بالدواء الجديد، و أنا أيضًا بحاجة لتجهيز خروفي للشتاء.. عليَّ جمع القش وملء الخز انات بالكيروسين، وإصلاح النافذة، فبعد كل شيء الشتاء على الأبواب. تتابع المرأة كلامها للتلفزيون: "هذه هي مدينتي، ليست مثيرة للغاية لكنها وطني، إذا و اتتك الفرصة فتفضل بزيارتنا، وسنبذل قصارى جهدنا لأجلك".

وهكذا تلاشت عن شاشة التلفزيون، فأغلقتها وأنهيت آخر جرعة من البيرة، وبدأت أفكر في زيارة مدينتها، فلعل بإمكانها أن تساعدني. لكن، بعد كل شيء، ربما لا تواتيني الفرصة لزيارتها، فأنا بالفعل قد نبذت كثيرًا من الأشياء.

وبالخارج كانت الدنيا لا تزال تُثلج، ومئات الخِراف تغمض عينيها في الظلام.

(تمَّت)

سائق التاكسي مصاص الدماء

أحيانًا تجتمع الأحداث السيئة مع سوء الحظ.. ربما يكون هذا شائعًا، لكن إذا واصلت الأحداث السيئة التحالف مع سوء الحظ على شخصٍ واحد، وتعاقبا عليه، فلن نعتبره حدثًا شائعًا بل سيصبح أمرًا شخصيًّا، وعندها لن يساعدك التفكير في شيوعه لأنك ستكون بحاجة للتعاطف مع شخصك. خذ عندك كل الأحداث التي وقعت لي اليوم مثلًا: لم ألتق بالمرأة التي كنت أنتظرها، وفقدت زرًّا من سترتي، وقابلت في القطار شخصًا لم أكن أود مقابلته، وشعرت بأول وخزة لآلام الأسنان، والآن تمطر السماء بينما أنا محاصر في سيارة أجرة، بسبب زحام ناجم عن حادث سير. لو قال أي شخص إن هذا أمر شائع فسوف ألكمه، ألا توافقني؟

لهذا السبب يصعب عليَّ التوافق مع الآخرين. أحيانًا أتخيل الحياة مثل حصيرة استقبال مكتوب عليها "أهلًا"، أقضي كل وقتي متمددًا عليها أمام الباب، لكن.. ربما في عالم الحصائر يمكن للمرء أن يكون شائعًا أيضًا. أفترض أنه حتى الحصائر لها

مشاكلها، انتصاراتها وهزائمها. ماذا سنفعل إذن؟ ربما هذا لا يهم.

ما علينا، المهم أنني كنت أستقل تاكسي، وأشعر أني محاصر وعالق فيه، والمطر يضرب سقفه، وأسمع رنين العداد المنتظم، بينما تخترق ضربات المطر فوق السطح رأسي مثل طلقات الرصاص.

أصعب شيء كان أنني أقلعت عن التدخين منذ ثلاثة أيام، فحاولت تزجية الوقت، لكن شيئًا لم يخطر ببالي لأفعله، فبدأت أفكر في التتابع المناسب لتعرية امرأة.. في البداية أنتزع نظاراتها، ثم ساعة معصمها، ثم سوارها بصوته المعدني الناعم، بعد هذا...

"لو سمحت..."

هكذا ناداني سائق التاكسي مشتتًا انتباهي عن الزر الأول للبلوزة، ثم سألني: "هل تؤمن بوجود مصاصي الدماء؟"

كررت مدهوشًا: "مصاصو الدماء!"

ونظرت إليه عبر المرآة فنظر لي بدوره.

-"هل تعني الكائنات التي تتغذى بامتصاص الدم؟"

-"نعم. هل تؤمن أنهم موجودون؟"

-"أنت لا تسألني عن مصاصي الدماء في الأفلام ولا عن الخفافيش، بل عن وجودهم في الحقيقة؟"

-"طبعًا، طبعًا".

أجابني، وزحف بالسيارة قدمين إلى الأمام.

أجبته: "لا أعرف، ليست لديَّ فكرة".

-"هذه ليست إجابة، هل تؤمن بوجودهم أم لا؟ فقط أعطني إجابةً".

-"أنا لا أومن بمصاصي الدماء".

-"إذن أنت لا تؤمن بأنهم موجودون، أليس كذلك؟"

"بلى، لا أومن بمصاصي الدماء".

ومددت يدي في جيبي لأخرج سيجارة، دسستها في فمي لكني لم أشعلها. سألني السائق: "وماذا عن الأشباح؟ هل تؤمن بالأشباح؟"

-"لدي شعور بأن الأشباح موجودة".

-"أنا لم أسأل عن مشاعرك، سألتك عمَّا إذا كنت تعتقد أنها موجودة... أجبني بنعم أو لا".

-"نعم، أنا أومن بالأشباح".

-"ومع هذا لا تؤمن بمصاصي الدماء".

-"لا، لا أومن بها".

-"حسنًا، ما الفرق بين الأشباح ومصاصي الدماء بحق السماء؟"

غمغمت: "إن الأشباح هي نقيض العالم المادي"، وفكرت أن ما قلته هراء، لكن التحدث عن الهراء كان دومًا أحد مواطن قوتي.

-"ممم!"

-"... لكن مصاصي الدماء إفساد لوجودنا المادي. إنهم يغيرون طبيعتنا الجسدية".

-"حسنًا، إذا تقبلت أن الأشباح هي نقيض عالمنا، فكيف أتقبل فكرتك عن أن مصاصي الدماء يفسدون هذا الوجود نفسه؟ يمكنني أن أقتنع بحجة النقيض هذه، لكني لست متأكدًا من جزئية الإفساد!"

-"ممم.. سؤال جيد، لكنه يفتح علبة لا نهائية من الديدان".

ابتسم لي سائق التاكسي وقال: "أنت شديد الذكاء.. لا بد أنك تعلم هذا".

أجبته: "لست متأكدًا، لقد تخرجت في الكلية قبل سبع سنوات".

واصل السائق الزحف بالسيارة بوصة واحدة للأمام وسط الزحام، ثم وضع سيجارة رفيعة بين شفتيه وأشعلها، فحلقت سحابة من رائحة النعناع في التاكسي.

قال: "لكن ماذا لو كان مصاصو الدماء حقيقيين؟"

-"سيكون هذا شيئًا مقلقًا، أليس كذلك؟"

-"أتظن هذا يكفي؟"

-"لا.. على الأرجح لا".

-"أنت محق، ولكن فكر في الإيمان.. إنه شيء مهيب، بإمكانه تحريك الجبال كما تعلم. إذا كنت تؤمن بأن الجبل موجود فهو كذلك، وإن لم تؤمن به فهو غير موجود".

لسببٍ ما ذكرني كلامه بأغنية دونوفان القديمة..

-"أليس كذلك؟"

-"بلى، أنت محق".

وتنهدت بعمق، وظلَّت السيجارة في فمي. سألته: "لكن أخبرني، هل تؤمن أنت بمصاصي الدماء؟"

-"نعم، أومن بهم".

-"لماذا؟"

-"لماذا؟ إنني فقط أومن بهم".

-"هل يمكنك إثبات وجودهم؟"

-"ليست هناك علاقة بين الإيمان والأدلة".

-"حسنًا، إذا كان هذا رأيك...".

وعدت إلى أزرار بلوزة المرأة التي أعريها في خيالي.. الزر الأول، الثاني، الثالث...

قال السائق: "لكن بإمكاني إثبات وجودهم".

-"حقًّا؟"

-"حقًّا".

-"كيف؟"

-"لأنني مصاص دماء".

وبقينا هادئين لفترة، خلالها تحركت السيارة بالكاد نحو خمسة عشر قدمًا، وواصل المطر الدق على سقف التاكسي، بينما أظهر العداد أن حسابي تجاوز1500 ين.

-"هل بإمكاني استعارة قداحتك؟"

-"بالتأكيد، لا مشكلة".

أشعلت سيجارتي بقداحته البيضاء، وأطعمت رئتيَّ النيكوتين لأول مرة منذ ثلاثة أيام.

-"نحن عالقان هنا منذ فترة طويلة للغاية، أليس كذلك؟"

أجبته: "بالتأكيد. ولكن بالحديث عن مصاصي الدماء...".

-"نعم؟"

-"أأنت مصاص دماء حقًّا؟"

-"نعم، ليس هذا شيئًا أكذب حياله، أليس كذلك؟"

-"أعتقد لا. منذ متى و أنت مصاص دماء؟"

-"منذ أكثر من عشر سنوات حتى الآن. منذ فترة أولمبيات ميونيخ كما أعتقد".

-"أتذكر هذا.. مارك سبيتز وأولجا كوربت. ألم يُقتَل بعض الإسرائيليين أيضًا؟"

-"نعم، أعتقد هذا".

-"هل تمانع إن سألتك سؤالًا آخر؟"

-"خذ راحتك".

-"لماذا تقود سيارة أجرة؟"

-"لأني لم أرغب في أن أكون مصاص دماء نمطيًّا يرتدي حرملة ويقود عربة عتيقة، أو أكون واحدًا من هؤلاء الذين يعيشون في قلعة. هذا هراء. أنا مثلك، لسنا مختلفين إلى هذا الحد.. أنا أدفع الضرائب، ولدي ختمٌ باسمي مُسجَّل لدى الحكومة. أذهب إلى الديسكو وألعب الباتشينكو. هل تظن هذا غريبًا؟"

-"لا، ليس حقًّا. لكننا لسنا متشابهين بالفعل، أليس كذلك؟"

-"ما خطبك؟ ألا تصدقني؟"

قلت بسرعة: "بالطبع أصدقك.. إذا كنت تؤمن بوجود الجبل فهو موجود".

-"حسنًا إذن".

-"إذن، هل تشرب الدم أحيانًا؟"

-"بالتأكيد، فأنا مصاص دماء بعد أي شيء".

-"أخبرني، هل دماء البعض تبدو أشهى من الآخرين؟"

-"نعم، طبعًا. على سبيل المثال: دمك سيئ المذاق لأنك تدخن كثيرًا".

-"لكنني أقلعت لفترة قليلة! حسنًا، أعتقد أنها لم تحدث فارقًا".

-"بالحديث عن شرب الدماء، يجب أن أعترف أني أفضل دماء النساء.. أفضلها حقًّا!"

-"هذا منطقي! بالمناسبة، أي ممثلة تظن دمها شهيًّا؟"

-"حسنًا، أعتقد أني سأحب غرس أسناني في كايوكو كيشيموتو، كما أن دم كيمي شينغيوجي يبدو شهيًّا أيضًا. لكني لا أهتم إطلاقًا بشأن كاوري مومويٍ، إنها شخصية مستقلة للغاية بالنسبة إليَّ".

-"أهو أمر جيد أن تشرب الدماء؟"

-"نعم، هو كذلك بالنسبة إليَّ".

افترقنا بعد هذا بخمس عشرة دقيقة. دخلت شقتي وأضأت الأنوار، وأخرجت زجاجة بيرة من الثلاجة، ثم اتصلت بالمرأة التي فوتت موعدنا في تلك الظهيرة. وقد اتصلت بها -ببساطة- لأننا فوَّتنا موعدنا فحسب.

-"فلنقل إن في الفترة الحالية من الأفضل ألا تركبي أي تاكسي أسود تعلوه لافتة (وسط المدينة)، اتفقنا؟"

-"لماذا؟"

-"لأن السائق مصاص دماء".

-"حقًّا؟"

-"حقًّا".

-"هل أقلق حيال هذا؟"

-"بالتأكيد".

-"لا يجب أن أستقل أي تاكسي أسود تعلوه لافتة "وسط المدينة"، أليس كذلك؟"

-"هذا صحيح".

-"شكرًا".

-"على الرحب والسعة".

-"ليلتك سعيدة".

-"و أنتِ أيضًا".

(تمَّت)

مهرجان أسد البحر

عندما جاء أسد البحر لزيارتي في المنزل، كنت أدخن سيجارة بعد غداءٍ خفيف. سمعت طرقة على الباب فذهبت لأفتح، ووجدت عند عتبتي أسد البحر. في الحقيقة ليس هناك أي شيء مميز بشأنه، فهو لا يرتدي نظارة شمسية، أو بدلة من ثلاث قطع من ماركة بروكس بروذرز. في الو اقع يبدو عتيق الطراز، وصينيًّا تقريبًا.

قال أسد البحر: "مساء الخير.. تشرفت بلقائك. آمل أنني لا أزعجك، فهل الوقت مناسب؟"

أجبته ببعض الارتباك: "نعم، مناسب، أنا لست مشغولاً إلى هذا الحد حقًّا".

إن أسود البحر حيو انات غير مؤذية نسبيًّا، وليس هناك طبع شرس أو يشكل تهديدًا من جانبهم، ولا يهم نوع أسد البحر الذي تجده على عتبة بابك، فلا شيء يقلق بخصوصهم، وهذا الذي يقف أمامي الآن ليس باستثناء. إدراك هذا قد يكون مزعجًا أكثر منهم.

قال أسد البحر: "سأكون ممتنًا لو منحتني عشر دقائق من وقتك".

نظرت إلى ساعتي بحكم العادة، لكن هذا لم يكن ضروريًّا، فلدي وقت بالفعل.

أضاف أسد البحر: "ربما لا نحتاج فعلاً إلى كل هذا الوقت".

كان يقرأ أفكاري فعليًا، وهكذا دون تفكير كثير قدته إلى داخل شقتي، بل وقدمت إليه كوبًا من شاي الشعير.

-"لا داعي لهذا! حقًّا لم يكن عليك أن ترهق نفسك!"

قالها أسد البحر بينما يرشف نصف الكوب في جرعةٍ واحدة، ثم أخرج من جيبه سترته سيجارة، وأشعلها بقداحته.

قال: "الجو حار للغاية، أليس كذلك؟"

-"هذا حقيقي".

-"على الأقل الطقس ليس سيئًا للغاية في الصباح الباكر والمساء".

-"نعم، إنه سبتمبر على أي حال".

-"مممممم، لقد انتهت بطولة البيسبول في المدارس الثانوية، و انتزع العمالقة راية الفوز تقريبًا، فلم يعد هناك كثير من العمل، أليس كذلك؟ الصيف انتهى بالفعل".

-"أعتقد أنك على حق".

أومأ برأسه موافقًا، وأجال عينيه في شقتي، ثم سألني: "اعذرني للتطفل، ولكن هل تعيش هنا وحدك؟"

-"لا، أنا أقيم مع زوجتي، لكنها في رحلة حاليًّا".

-"حقًّا؟ يبدو ممتعًا أن تأخذا عطلاتكما منفصلين!".

كانت ضحكته ساخرة قليلاً وذات مغزى.

كان هذا خطأي وحدي، وأتحمل مسؤوليته كاملة.. لا يهمني إلى أي درجة قد يثمل المرء في حانة ما بحي شينجوكو، ولكن لا ينبغي لأحد أن يقدم كارته الشخصي لأسد البحر الذي يجلس في المائدة المجاورة.. الجميع يعرف هذا، لكنني كشخص مراعٍ ورصين قدمت له الكارت، ولم يكن لدي خيار آخر، كان هذا ما عليَّ فعله، وقد تناول أسد البحر الكارت مني.

دائمًا ما يتسبب سوء الفهم في المشاكل، لا يعني هذا أنني لا أحب أسود البحر، فليس هناك شيء أكرهه حيالهم.. أعترف أنني سأتحطم لو أعلنت أختي يومًا ما، فجأة، أنها تريد الزواج بأسد بحر، ولكن إذا كانا متحابين فلن أعارض هذا الزواج.. الوقوع في حب أسد البحر أمر ممكن الحدوث.

مع هذا، فإن تقديم كارتك الشخصي إلى أسد بحر أمر مختلف تمامًا، فكما تعرفون جميعًا فإن أسود البحر رمز للمحيط الشاسع.. A هو رمز لـB، وB هو رمز لـC، وC رمز لكل من A وB، وقد أسست أسود البحر مجتمعاتها على مثل هذا البناء الهرمي.. ربما يحمل هذا مخاطر عالية لوقوع الفوضى، ولكن في قلب هذا الهرم توجد الكروت الشخصية. لهذا السبب يحمل أسد البحر

دومًا مجموعة كبيرة من الكروت في حقيبته، فبالنسبة له، تمثل هذه الكروت مكانته في المجتمع، مثل الطيور التي تجمع الخرز.

-"قبل أيام حصل أحد زملائي على كارتك الشخصي".

تظاهرت بأنني لا أعرف ما يتحدث عنه، وقلت: -"حقًّا؟ لقد كنت ثملاً للغاية، لهذا لا أذكر ما حدث بوضوح".

-"لكن زميلي كان سعيدًا للغاية".

رشفت شايي متظاهرًا بالاهتمام.

-"أعتذر مجددًا لزيارتي من دون موعدٍ، ولكنني أردت انتهاز تلك الفرصة لرؤيتك، وبما أنني أملك هذا الكارت فـ...".

-"هل تريد شيئًا مني؟"

-"إنه مجرد شيء بسيط، فنحن نحتاج بعض المساعدة الرمزية، أيها المُعلم".

يبدو أن حيوانات أسد البحر تصف البشر بأنهم "مُعلمين"!

-"مساعدة رمزية؟"

-"أوه! عفوًا! هذا من شأنه أن يسهّل شرح الأمور".

ومد يده إلى حقيبته وأخرج بطاقة عمل ناولني إياها، فقرأت عليها "رئيس اللجنة التنفيذية لمهرجان أسد البحر".

-"أعتقد أنك سمعت عن منظمتنا...".

-"لا يمكنني في الواقع الجزم بهذا، ربما سمعت عنها شيئًا".

-"هذا المهرجان شديد الأهمية لنا كأسود بحر، فله ثقل معنوي كبير، كما أن هذا الحدث سيحمل فائدة عظيمة للعالم".

-"همممممم!"

-"في الوقت الحالي وجودنا في العالم هامشي للغاية، ولكن هذه المرة...."

توقف فجأة، ثم أطفأ سيجارته في المطفأة...

-"... يتكون العالم من عوامل متنوعة، ونحن أسود البحر نتحمل مسؤولية الجانب الروحي".

-"أوه! أنا آسف، ولكنني لست مهتمًا بهذا النوع من الأحاديث...".

-"نحن نهدف إلى نهضة أسود البحر، ولكي يحدث هذا يجب أن تكون هناك نهضة موازية في جميع أنحاء العالم. في الماضي كنا ضيّقي الأفق وأغلقنا مهرجاننا في وجوهكم كبشر، لكن اليوم رسالتنا إلى العالم هي: لقد غيرنا مهرجاننا بشكل جذري، ونأمل أن يكون نقطة انطلاق حقيقية لتلك النهضة.. هذه هي رسالتنا إلى العالم".

-"أعتقد أنني أتابع ما تقول".

-"حتى الآن، لقد تعاملنا مع مهرجاناتنا باعتبارها مجرد مهرجانات.. بالطبع هي مظاهر جميلة وممتعة، ولكننا نحن أسود البحر نعتقد أن الحياة هي تحضير للمهرجان، لأن المهرجانات تساعدنا على إدراك الطبيعة الحقيقية لهوية أسد البحر داخلنا.

المهرجانات تؤكد هويتنا كأسود بحر، واكتشاف الذات يكمن في مثل هذا النشاط المستمر.. اكتشاف الذات هو تتويج للعمل النهائي".

-"تتويج ماذا بالضبط؟"

-"الديجا ڤو العظمى".

واصلت الإيماء برأسي رغم أن لا فكرة لديّ عمَّا يثرثر به.. هكذا يتكلمون دائمًا، يقولون ما بأذهانهم فحسب، وعادة ما أصمت بانتظار أن يفرغون رؤوسهم. عندما انتهى أسد البحر من ثرثرته كانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف، و أنا ميت من التعب.

أنهى أسد البحر شايه الدافئ بهدوء وقال: "هذا كل ما لديّ.. هل تفهم الخطوط العريضة لما قلته؟"

-"أنت تبحث عن تبرعات".

صحح لي: "لا، لا، نحن نريد دعمًا روحيًّا".

نهضت إلى الصندوق الذي أحفظ فيه نقودي، وأخذت ورقتين فئة الألف ين ووضعتهما أمامه. قلت: "آسف لو كان هذا غير كافٍ، ولكن يفترض أن أدفع أقساط التأمين غدًا، وهو أيضًا موعد تجديد اشتراك الصحيفة".

-"شكرًا جزيلاً لك، فكل مساعدة صغيرة تصنع فارقًا كما تعلم، وما يهمنا فعلاً هو مساندتك".

قالها ولوح بيده مبدئًا أعذاري.

رحل أسد البحر تاركًا خلفه كتيبًا بعنوان "تقرير أسد البحر"، وملصقًا مطبوعًا عليه عبارة "هل أسود البحر مجرد مجاز؟". كان العثور على مكان مناسب لوضع الملصق مشكلة، حتى تذكرت سيارة سيليكا حمراء تركن بشكلٍ غير قانوني في الحي، وألصقته في منتصف زجاجها الأمامي بالضبط.. كانت المادة اللاصقة قوية، وعلى الأرجح ستكون إزالتها مشكلة كبيرة.

(تمَّت)

زوجة رجل الثلج

تزوجت برجل ثلج. قابلته لأول مرة في فندق بمنتجع للتزحلق على الجليد، ولعل هذا هو المكان الأنسب لمقابلة رجل ثلج. يومها كان لوبي الفندق مزدحمًا بكثير من الشباب صغار السن شديدي الحيوية، لكن رجل الثلج كان جالسًا وحده على مقعدٍ بالركن، في أبعد نقطةٍ عن المدفأة، يقرأ كتابًا بهدوء. ورغم أن الوقت كان ظُهْرًا تقريبًا، فإن محيطه بدا ساطعًا وباردًا، كأن صباحات الشتاء المبكرة تحوم حوله.

همست لي صديقتي: "انظري.. إنه رجل ثلج!"

في هذا الوقت لم أكن أعرف على الإطلاق ماهية رجل الثلج، وكذلك صديقتي. قالت لي: "لا بد أنه صُنع من الثلج، ولهذا ينادونه برجل الثلج". كان تعبيرها جادًّا كما لو أنها تتحدث عن شبح أو شخص مصاب بمرضٍ معدٍ.

كان رجل الثلج طويلاً، يبدو صغير السن، وعلى شعره القصير الأشبه بالأسلاك رقع بيضاء، كجيوب من الثلج الذي لم يذب

بعد. وجنتاه بارزتان حادتان كأحجار متجمدة، وأصابعه مكسوة بصقيع هش يبدو وكأنه لن يذوب أبدًا. فيما عدا هذا بدا رجل الثلج كأي رجل عادي.. ربما لن تنعته أبدًا بأنه وسيم، ولكنك ستراه شديد الجاذبية، يعتمد الأمر على طول نظرك إليه. على أي حال، شيء ما فيه ثقبني حتى قلبي، وشعرت بهذا في عينيه أكثر من أي شيء آخر. كانت حملقته صامتة وشفافة، كشظايا الضوء إذ يعبر رقاقات الثلج في صباحات الشتاء.. لمحةً وحيدةً من الحياة في جسد اصطناعي.

وقفت لفترةٍ أراقب رجل الثلج من مسافة، لم ينظر لأعلى أبدًا، فقط جلس دون حراك يقرأ كتابه، وكأن لا أحد حوله.

في الصباح التالي كان رجل الثلج في نفس المكان، يقرأ كتابًا بنفس الطريقة، حين نزلت لتناول الغداء. وحين عدت من التزحلق على الجليد مع أصدقائي مساءً، كان بعد جالسًا، يوجه نفس النظرة المحملقة إلى صفحات الكتاب نفسه. تكرر الأمر في اليوم التالي أيضًا، حتى حين مالت الشمس للغروب، وتأخر الوقت، بقي في مقعده، هادئًا كالمشهد الشتوي خارج النافذة.

عند ظهيرة اليوم الرابع، اصطنعت عذرًا لئلا أخرج، وبقيت في الفندق وحيدةً لأتسكع قليلًا في اللوبي، والذي كان خاليًا كمدينةٍ للأشباح. كان الجو دافئًا ورطبًا، وللغرفة رائحة محزنة بشكل غريب.. رائحة الثلج الذي حملته أحذية الناس من المنحدرات الجليدية بالخارج إلى هنا، حيث يذوب أمام المدفأة. تطلعت عبر النوافذ، وتصفحت جريدة أو اثنتين، ثم توجهت إلى رجل الثلج، واستجمعت شجاعتي لأتحدث.

في العادة أنا خجولٌ مع الغرباء، ولا أتحدث مع من لا أعرفهم، إلا لو كان لدي سبب قوي، لكنني وجدت نفسي مدفوعة للحديث مع رجل الثلج، مهما كان الثمن.. كانت تلك ليلتي الأخيرة في الفندق، ولو تركت تلك الفرصة تفلت، فأخشى أنني لن أستطيع التحدث إلى رجل ثلج مجددًا.

"ألا تذهب للتزحلق؟"

هكذا سألته، محاولةً التصرف بعفوية قدر الإمكان..

أدار وجهه نحوي ببطء، كما لو أنه سمع ضجةً من بعيد، وحدق إليَّ بهاتين العينين، ثم هز رأسه وقال: "أنا لا أتزحلق.. فقط أحب الجلوس هنا، والقراءة، والتطلع إلى الجليد".

شكَّلت كلماته سحابةً بيضاء فوق رأسه، مثل بالونات الحوار في القصص المصورة.. كان بإمكاني فعليًا رؤية الكلمات معلقةً في الهواء، حتى شتتها بأصابعه المكسوة بالصقيع الهش.

لم تكن لدي فكرة عمَّا يمكن قوله لاحقًا، فقط احمرت وجنتاي خجلاً وتجمدت في موضعي، ونظر رجل الثلج في عينيَّ وبدا وكأنه يبتسم بخفة.

سألني: "أتودين الجلوس؟ تبدين مهتمةً بي، أليس كذلك؟ تريدين معرفة ما هو رجل الثلج".

ثم ضحك وقال: "استرخي.. لا شيء لتقلقي حياله، لن تصابي بالبرد لمجرد أنك تتحدثين إليَّ".

جلسنا متجاورين على أريكةٍ في ركن اللوبي، لنراقب رقصة رقاقات الثلج إذ تنهمر بالخارج. طلبت قهوة ساخنة وشربتها، لكن رجل الثلج لم يشرب شيئًا. لم يكن أبرع مني في الثرثرة، بل و أيضًا لم يبد أن لدينا شيئًا مشتركًا يمكننا التحدث عنه. في البداية تحدثنا عن الطقس، ثم عن الفندق.. سألته: "هل أنت هنا وحدك؟"، فأجابني بنعم، ثم سألني عمّا إذا كنت أحببت التزحلق على الجليد، فأجبته: "ليس كثيرًا.. لقد جئت فقط لأن أصدقائي أصروا، الحقيقة أنني نادرًا ما أتزحلق".

كانت لدي كثير من الأشياء التي أود معرفتها.. هل صُنع جسده فعلاً من الثلج؟ ماذا يأكل؟ أين يعيش في فصل الصيف؟ هل لديه عائلة؟ وأسئلة من هذا القبيل، لكن رجل الثلج لم يتحدث عن نفسه، و أنا منعت نفسي من طرح أسئلة شخصية.

بدلاً من هذا، تحدث رجل الثلج عني.. أعلم أن هذا صعب التصديق، لكنه بشكلٍ ما كان يعلم كل شيء عني. كان يعرف أفراد عائلتي، وسني، وما أحب وما لا أحب، وحالتي الصحية، والمدرسة التي ارتدتها، والأصدقاء الذي أقابلهم.. كان حتى يعلم أشياء حدثت لي في الماضي لدرجة أنني نسيتها.

كنت مرتبكة، كما لو أنني عارية أمام غريب، وسألته: "أنا لا أفهم! كيف تعرف كل هذا عني؟ هل تقرأ الأفكار؟"

قال رجل الثلج: "لا، لا أستطيع قراءة الأفكار أو ما شابه، أنا فقط أعلم.. حين أنظر عميقًا إلى الثلج، ثم أحول عينيَّ إليكِ هكذا، تأتيني مشاهد عنك في غاية الوضوح".

سألته: "هل يمكنك رؤية مستقبلي؟"

قال ببطء: "لا يمكنني رؤية المستقبل، ولمزيدٍ من الدقة، أنا لا أملك أي تصورات عن المستقبل، لأن الثلج لا مستقبل له، كل ما يملكه هو الماضي المضمر فيه. الثلج قادر على حفظ الأشياء هكذا، نظيفة، ومميزة وواضحة للغاية، كما لو أنها ما زالت على قيد الحياة.. هذا هو جوهر الثلج".

ابتسمت وقلت: "هذا جميل.. أشعر بالراحة لسماع هذا، فأنا لا أريد معرفة مستقبلي على أي حال".

بعد عودتنا إلى المدينة التقينا مجددًا عدة مرات، وفي النهاية بدأنا نتواعد، لكننا لم نذهب إلى السينما ولا إلى المقاهي، ولا حتى إلى المطاعم.. نادرًا ما يأكل رجل الثلج شيئًا يمكننا أن نتحدث عنه، وبدلاً من هذا كنا نجلس دائمًا على مقاعد خشبية في الحديقة، ونتحدث عن أي شيء.. أي شيء باستثناء رجل الثلج نفسه.

ذات يوم سألته: "لماذا لا نتحدث عنك؟ أريد أن أعرف عنك أكثر.. متى ولدت؟ كيف يبدو والداك؟ كيف أصبحت رجل ثلج؟"

نظر لي رجل الثلج لفترةٍ، ثم هز رأسه وقال بوضوحٍ وهدوء: "لا أدري.. أعرف ماضي كل الأشياء الأخرى، لكني لا أملك ماضيًا.. لا أعرف أين ولدت، ولا كيف يبدو والداي، بل إنني لا أعرف إن كنت أملك والدين أصلاً، وليست لدي فكرة كم يبلغ عمري، أو إن كان لي عمر من الأساس".

وزفر نفخةً من الكلمات البيضاء في الهواء.. كان رجل الثلج وحيدًا كجبلٍ جليدي في الظلام.

وقعت في حب رجل الثلج، وكذلك أحبني هو.. كما أنا، في الحاضر، دون أي مستقبل، وبدوري أحببت رجل الثلج كما هو، في الحاضر، دون أي ماضي، حتى أننا بدأنا نتحدث عن الزواج.

كنت قد بلغت العشرين، وكان رجل الثلج هو الشخص الوحيد الذي أحببته حقًّا. في هذا الوقت، لم يكن بإمكاني تخيل كيف يكون الوقوع في حب رجل ثلجي، ولكن حتى إذا كنت قد وقعت في حب رجل عادي، فلم تكن لدي فكرة أيضًا عمَّا يعنيه الحب.

كان أبي وأمي وأختي الكبرى معارضين تمامًا لزواجي من رجل الثلج، قالوا لي: "أنتِ صغيرة للغاية على أن تتزوجي، كما أنك لا تعرفين شيئًا عن تاريخه.. لا تعرفين أين ولا متى ولد، فكيف نخبر أقاربنا عن شخص كهذا؟ كما أننا نتحدث عن رجل ثلجٍ هنا، ماذا سنفعل لو تلاشى ذائبًا؟ لا يبدو أنك تستوعبين أن الزواج يحتاج التزامًا حقيقيًّا".

كانت مخاوفهم لا أساس لها من الصحة، فبعد أي شيء لم يكن رجل الثلج مصنوعًا فعلاً من الثلج، بالتالي فهو لن يتلاشى ذائبًا مهما كانت درجة الحرارة.. إنه يُدعى (رجل الثلج) لأن جسده بارد كالثلج، لكنه صُنع من مادة مختلفة لا تستولي على حرارة الآخرين.

وهكذا تزوجنا.. لم يبارك أحد هذه الزيجة، ولم يكن أي من الأقارب والأصدقاء سعيدًا من أجلنا. لم نقم بأي مراسم، ولم يكن هناك سجل عائلي لرجل الثلج يضاف إليه اسمي.. لقد قررنا فقط أننا متزوجان، واشترينا كعكة صغيرة أكلناها معًا، وكان هذا هو زفافنا المتواضع.

استأجرنا شقة صغيرة، وعمل رجل الثلج في منشأة لتخزين اللحوم الباردة، ليكسب لقمة العيش. كان بوسعه تحمل البرد مهما بلغت شدته، ولم يرهق مهما كانت مشقة العمل. أعجب رؤساؤه به كثيرًا ومنحوه راتبًا يفوق الموظفين الآخرين، وعشنا سعيدين معًا، دون أن نزعج أحدًا، أو يزعجنا أحد.

عندما مارس رجل الثلج الحب معي، تجلَّت في ذهني صورةٌ لكتلة من الجليد، كنت واثقة أنها تقبع في مكان ما، في عزلةٍ هادئة، وتصوَّرت أن رجل الثلج قد يعرف أين هي.. كانت متجمدة بشكلٍ شديد الصلابة، وفكَّرت أن لا شيء يمكن أن يكون أصلب منها، وأنها أكبر قطعة جليدٍ في العالم، في مكان بعيد للغاية، وأن رجل الثلج يمرر ذكريات تلك الثلجة إليَّ، وإلى العالم. كنت مضطربة ومشوشة حين مارس رجل الثلج الحب معي، ولكن بعد فترة اعتدت الأمر، بل بدأت أحب ممارسة الجنس معه. في الليل، بصمتٍ تام، كنا نتشارك تلك القطعة الهائلة من الجليد، والتي خزَّنت، عبر مئات الملايين من السنين، كل ماضي العالم.

لم تكن هناك مشكلة في حياتنا الزوجية، فقد أحببنا بعضنا بعمقٍ، ولم تقع بيننا خلافات. أردنا أن ننجب طفلاً، ولكن لم يبد هذا ممكنًا، ربما لأن جينات البشر وجينات رجل الثلج لا تتوافق بسهولة. أيًّا كان، بسبب عدم إنجابنا وجدت نفسي في فراغٍ كبير، كنت أنهي أعمالي المنزلية كلها صباحًا، بعدها لا أجد ما أفعله.. لم يكن لدي أصدقاء لأتحدث أو أخرج معهم، ولم يكن لديَّ نشاط أشاركه مع الجيران أيضًا، وأمي وأختي ما زالتا غاضبتين مني لزواجي برجل الثلج، ولم يبد أنهما راغبتين في رؤيتي مجددًا. ورغم أن الناس حولنا بدؤوا يتحدثون معه من حينٍ لآخر، بعد مضي شهور، فإنهم في أعماقهم لم يكونوا متقبلين حقًّا لوجوده، أو لوجودي كزوجةٍ له.. كنا مختلفين عنهم، ولن يقلل الوقت، مهما طال، من تلك الفجوة بيننا وبينهم.

وهكذا، بينما يخرج رجل الثلج للعمل كنت أبقى في المنزل وحيدةً، أقرأ كتابًا أو أستمع إلى الموسيقى.. في الحقيقة كنت أميل إلى البقاء في المنزل، ولا أمانع أن أكون وحدي، لكنني كنت بعد صغيرة السن، وبدأت أنزعج من تكرار اليوم بحذافيره نهارًا بعد نهار. لم يكن الملل ما يؤلمني، بل التكرار.

كان هذا هو السبب الذي دعاني لفاتحة زوجي ذات يوم: "ما رأيك لو ذهبنا في رحلة معًا إلى مكان ما؟ فقط لتغيير الجو؟".

ضيَّق عينيه وحدَّق إليَّ. سألني: "رحلة؟ لماذا بحق السماء ترغبين في رحلة؟ ألست سعيدةً بوجودك هنا معي؟!"

قلت: "ليس هذا هو السبب.. أنا سعيدة، لكنني أشعر بالملل. أريد السفر بعيدًا ورؤية أشياء لم تسبق لي رؤيتها من قبل.. أريد أن

أشم هواءً جديدًا، هل تفهمني؟ كما أننا لم نحظ برحلة شهر العسل بعد، ولدينا بعض المدخرات، وعندك إجازات كثيرة.. ألم يحن الوقت لنهرب إلى مكان ما ونستمتع بحياتنا لفترة؟"

زفر رجل الثلج نفسًا عميقًا، تبلور في الهواء بصوتٍ رنان.. وشد بأصابعه الطويلة على ركبتيه، ثم قال: "حسنًا، إذا كنت ترغبين في السفر إلى هذا الحد فلا يمكنني أن أمانع.. سأذهب إلى أي مكان يجعلك سعيدةً، ولكن هل تعرفين إلى أين تودين السفر؟"

سألته: "ما رأيك في القطب الجنوبي؟"

اخترت القطب الجنوبي لأني كنت متأكدة أن رجل الثلج سيهتم بالسفر إلى مكانٍ باردٍ، ولأكون صادقةً، أنا أيضًا طالما رغبت بالسفر إلى هناك.. كنت أريد أن أرتدي معطفًا من الفراء ذا قلنسوة، وأن أرى الشفق القطبي وقطعان البطاريق.

حين نطقت بهذا نظر زوجي إلى عينيَّ دون أن يرمش، وشعرت أن جليدًا مدببًا يثقبني حتى مؤخرة رأسي.. بقي صامتًا لفترةٍ، حتى نطق أخيرًا بصوت متلألئ: "حسنًا، فلنذهب إلى القطب الجنوبي، ما دامت هذه رغبتك. هل أنتِ واثقةٌ أنكِ تريدين هذا حقًّا؟"

لم أستطع الإجابة على الفور، إذ شعرت أن رأسي قد تخدَّر لطول تحديقه عميقًا إليَّ، ثم أومأت برأسي.

كلما مر الزمن، شعرت بالندم لأني طرحت فكرة السفر إلى القطب الجنوبي.. لا أعرف لماذا، لكن شيئًا تغيَّر في أعماق زوجي منذ نطقت بكلمة "القطب الجنوبي". أصبحت عيناه أكثر حدة،

وأنفاسه أكثر بياضًا، وأصابعه أشد برودة.. بالكاد كان يتكلم معي، وتوقف عن تناول الطعام نهائيًا. كل هذا أشعرني بعدم الأمان.

قبل سفرنا بخمسة أيام استجمعت شجاعتي وقلت: "دعنا نلغي سفرنا إلى القطب الجنوبي. بالتفكير في الأمر أعتقد أنه سيكون باردًا بشكلٍ مروع، وقد يؤثر على صحتنا. أظن أن من الأفضل أن نتجه لمكان تقليدي أكثر.. ماذا عن أوروبا؟ فلنذهب في عطلة حقيقية إلى إسبانيا. يمكننا أن نستمتع بشرب النبيذ وتناول البايّا، ومشاهدة مصارعة الثيران".

لكن زوجي لم يعر كلماتي اهتمامًا، فقط حملق في الفضاء لدقائق معدودة، ثم أعلن: "لا، أنا لا أريد الذهاب إلى إسبانيا، فطقسها حار للغاية بالنسبة إليَّ، ومغبَّر، وطعامها حار. كما أنني اشتريت تذاكر السفر إلى القطب الجنوبي، واشترينا معطف الفراء والأحذية المبطنة به من أجلك، لا يمكننا إهدار كل هذه المصروفات، ولا يمكننا التراجع بعدما وصلنا إلى هذا الحد".

الحقيقة أن هذا ما كنت أخشاه، كان يطاردني هاجس أننا إذا ذهبنا إلى القطب الجنوبي فقد يحدث شيء لا يمكننا التراجع عنه، كما كنت أعاني من كابوس متكرر، يطاردني بنفس التفاصيل.. كنت أرى نفسي أتمشّى بهدوء، ثم أسقط في صدع انشقت عنه الأرض، حيث لا يمكن لأحد العثور عليَّ، وأبقى هناك، أتجمد، وأنا محاصرة وسط الجليد، بينما أتطلع إلى السماء، واعيةً، دون أن أستطيع الحركة، وليس بإمكاني حتى تحريك إصبعي، وأدرك أنني، مع كل لحظةٍ تمضي، أتحول إلى

الماضي. وكلما نظر إليَّ الناس، مهما كان ما سأصبح عليه، فسوف ينظرون دومًا إلى الماضي.. سأتحول إلى مشهد يسير بالعكس، بعيدًا عنهم.

بعدها كنت أستيقظ لأجد رجل الثلج نائمًا بجواري.. كان ينام دائمًا دون أن يتنفس، وكأنه رجل ميت.

لكنني أحببت رجل الثلج. بكيت، وسقطت دموعي فوق خده فاستيقظ، وضمني بين ذراعيه، فأخبرته: "لقد حلمت بكابوس".

فقال لي: "إنه مجرد حلم، والأحلام تأتي من الماضي وليس من المستقبل.. أنتِ لستِ مقيدةً بأحلامك، بل هي المقيدة بكِ.. هل تفهمين هذا؟"

-"نعم".

قلت هذا، لكنني لم أكن مقتنعةً.

لم أستطع إيجاد سبب قوي لإلغاء الرحلة، وفي النهاية صعدت مع زوجي على متن الطائرة في طريقنا إلى القطب الجنوبي. كانت المضيفات قليلات الكلام، وحين أردت النظر عبر النافذة إلى المشهد بالخارج، كانت السحب كثيفة جدًّا وتحجب كل شيء، وبعد قليل اكتست النو افذ بطبقاتٍ من الثلج، بينما زوجي يجلس في صمتٍ ويقرأ كتابًا. لم أشعر بحماس من يتجه للاستمتاع بعطلةٍ، فقط كنت أراجع الاقتراحات، و أتأهب لتنفيذ خطوات قُررت بالفعل.

حين هبطنا من الطائرة ولامسنا أرض القطب الجنوبي، شعرت بزوجي يترنح.. استمر هذا لطرفة عين، لأقل من نصف

ثانية، لم يتغير تعبير وجهه على الإطلاق، لكنني رأيت ما حدث.. شيء ما في أعماق رجل الثلج كان يهتز سرًّا بعنف، توقف وتطلع إلى السماء، ثم إلى يديه، وزفر نفسًا عميقًا، ثم نظر إليَّ بابتسامةٍ عريضة، وقال: "أهذا هو المكان الذي أردتِ زيارته؟"

أجبته: "نعم، هو".

كان القطب الجنوبي مهجورًا بشكل يفوق كل ما توقعته، لا أحد يعيش هنا تقريبًا، وليست به إلا مدينة صغيرة بلا مستقبل، وفي هذه المدينة فندق واحد، كان بدوره صغيرًا وبلا مستقبل. القطب الجنوبي ليس وجهةً سياحية، ولم يكن به بطريق واحد، ولا شفق قطبي.. لم تكن به أشجار، ولا أزهار، ولا أنهار، ولا برك.. لم يكن به إلا الجليد في كل مكانٍ زرته، ومهما ذهبت بعيدًا، لم أستطع رؤية شيء غير الجليد المقفر، يمتد إلى ما لا نهاية.

رغم هذا، كان زوجي يتنقل بحماسٍ من مكانٍ لآخر، وكأنه لن يشبع منه أبدًا. تعلم اللغة المحلية سريعًا، وبدأ يتبادل الحديث إلى سكان المدينة بصوت به قرقعة انهيار جليدي. كان يثرثر معهم لساعاتٍ وعلى وجهه تعبير جاد، لكن لم تكن لدي وسيلة أفهم بها ما يقال.. شعرت كما لو أن زوجي يخونني، وتركني لأعتني بنفسي.

هناك، في ذلك العالم الخالي من الكلمات، والمحاط بالجليد السميك، فقدت كل قوتي أخيرًا.. شيئًا فشيئًا، شيئًا فشيئًا، لم تعد لدي الطاقة لأشعر بالانزعاج أكثر.. كان الأمر وكأنني فقدت بوصلة مشاعري في مكان ما، وفقدت مسار الوجهة التي أنشدها، وفقدت إحساسي بالزمن، وفقدت كل إحساسٍ بنفسي.. لا أعرف متى بدأ هذا، ولا متى ينتهي، لكن عندما استعدت وعيي كنت في

عالمٍ من الجليد، وشتاء أبدي خاوٍ من الألوان، يمتد إلى أجل غير مسمى.

رغم تلاشي معظم أحاسيسي كنت أدرك بوضوح أن زوجي في القطب الجنوبي لم يعد الرجل نفسه الذي عرفته من قبل.. لقد اعتنى بي كما اعتاد أن يفعل من قبل، وتحدث إليَّ بلطفٍ، ويمكنني القول إنه عني حقًّا كل الأشياء التي قالها، لكنني علمت أيضًا أنه ليس رجل الثلج الذي قابلته يومًا في منتجع التزحلق.

لم تكن لديّ طريقة ألفت بها نظر الآخرين إلى ذلك، فالجميع يحبونه في القطب الجنوبي، بينما لا يفهمون كلمةً مما أقول.. ينفثون أنفاسهم البيضاء، ويضحكون ويلقون بالنكات ويتجادلون ويغنون بلغتهم، بينما أبقى وحدي في غرفتي، أنظر إلى السماء الرمادية بالخارج، والتي لا يبدو أنها ستصفو لأشهر قادمة. لم تعد الطائرة التي أتت بنا إلى هنا، وبعد فترة غُمر ممر الإقلاع بطبقات كثيفة من الجليد.. تمامًا كقلبي.

قال زوجي: "لقد حلّ الشتاء.. سوف يكون شتاءً طويلاً، ولن يكون لدينا طائراتٍ ولا سفن، كما أن كل شيء بالخارج سيتجمد. يبدو أننا سنبقى هنا حتى الربيع القادم".

بعد ثلاثة أشهر من وصولنا إلى القطب الجنوبي، أدركت أنني حامل، وعلمت أن الطفل الذي سأنجبه سيكون رجل ثلج صغيرًا، فقد تجمد رحمي، والسائل الأمنيوسي المحيط به طري كالجليد نصف الذائب، وشعرت بالبرد داخلي. ربما يكون طفلي مثل أبيه، بعينين كرقاقات الثلج، وأصابع يحيطها الصقيع، ولن تطأ عائلتنا

أرضًا أبدًا في مكانٍ آخر خارجَ القطب الجنوبي.. الماضي الأبدي، الأثقل من كل إدراك، قد أطبق علينا، ولن نستطيع منه فكاكًا.

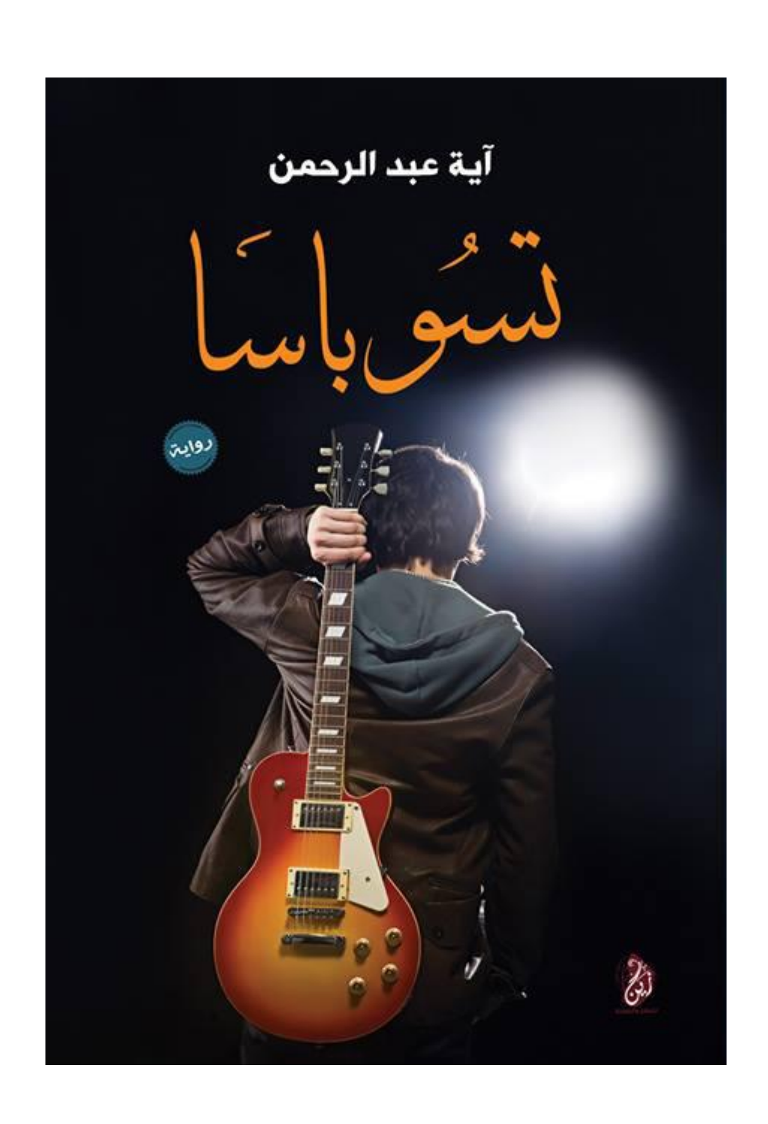
الآن لم يتبق لدي قلب تقريبًا، وتبدد دفء جسدي إلى مكانٍ بعيدٍ جدًّا، وأحيانًا أنسى أن الدفء قد وجد أبدًا. هنا، أنا أكثر وحدة من أي شخص آخر في العالم، وحين أبكي، يُقبّل رجل الجليد خديّ، فتستحيل دموعي ثلوجًا، فيأخذ تلك القطرات المتجمدة في يديه، ثم يضعها على لسانه، ويقول: "انظري كم أحبك". إنه يقول الحقيقة، لكن رياحًا ما تهب من العدم، لتعصف بكلماته البيضاء، وتطيح بها إلى الماضي.

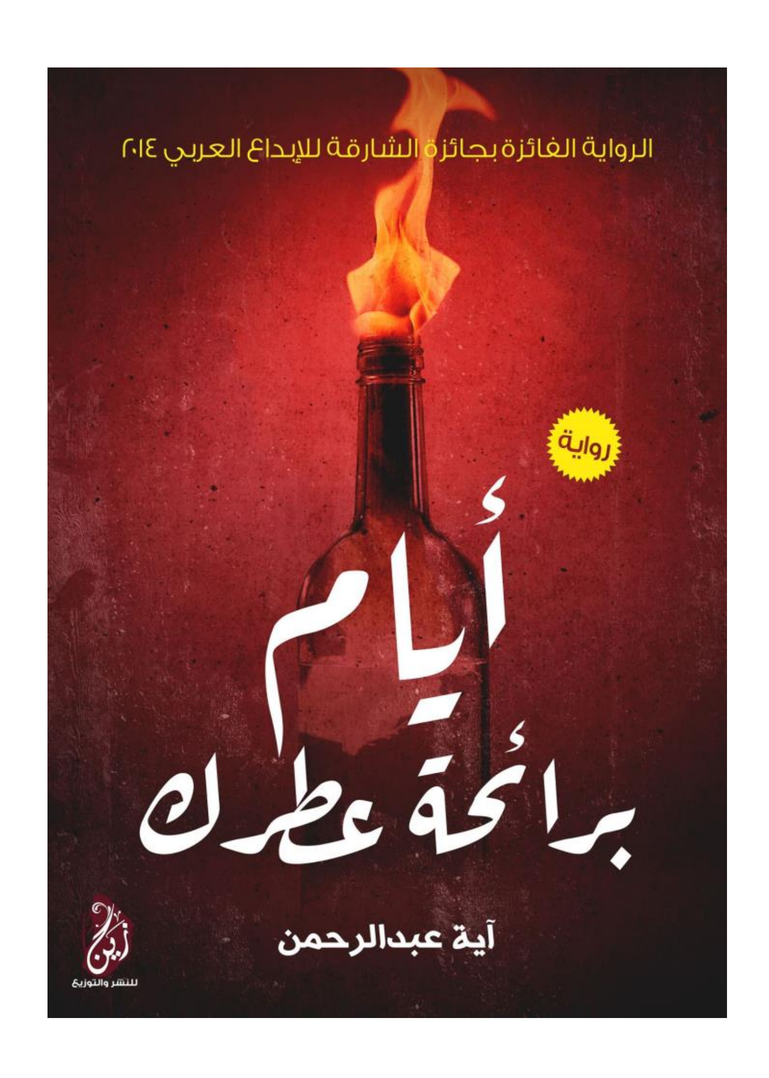
(تمَّت)

عن المترجمة

آية عبد الرحمن، كاتبة ومصورة وصحفية مصرية، ومقدمة برنامج (على خطى الكتابة)، أول برنامج متخصص في تدريس فن كتابة الرواية، والكتابة الإبداعية، في مصر والعالم العربي.

تخرجت في كلية الآداب قسم اللغة الإسبانية، ودرست اللغة اليابانية وآدابها بمؤسسة اليابان مكتب القاهرة، وحصلت على عدة جوائز أدبية في النقد والأدب والصحافة، منها جائزة الشارقة للإبداع العربي عن رواية "أيام برائحة عطرك"، وجائزة راشد بن حمد الشرقي للإبداع عن رواية "رواية الصمت"، وجائزة الشاعر صلاح علي جاد عن قصيدة "امرأة تستمتع بالحياة"، وجائزة المسابقة العربية في كتابة القصة القصيرة عن قصة "قدم الخير"، وجائزة المركز الثقافي الفرنسي وموقع مدى مصر عن قصتها "مستقر عند مستوى محتمل من الملل" في مسابقة "يومًا ما" لأدب الخيال العلمي.


آية عبد الرحمن
تسُوباسَا
رواية


الرواية الفائزة بجائزة الشارقة للإبداع العربي ٢٠١٤
رواية
أيام برائحة عطرك
آية عبدالرحمن
زين للنشر والتوزيع